بسم الله الرحمن الرحيم

وبالله ثقتى

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن أستاذنا وحبيبنا وسيدنا محمدّ عبد الله ورسوله، أرسله بين يدى الساعة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله عليه وسلم.

فأما بعد؛ فَإنَّ علم التاريخ هو : الوقوف على أخبار الماضين ، وإنَّ معرفة الماضى تكسبنا خبرة السنين الطويلة التى عاشتها البشرية ، وهذا من مستلزمات التكوين الفكرى للإنسان المتحضر ، فإنه مُطالبٌ بأن يسعى إلى تحصيل الخبرات ، إذ لا شك أن التأمل فى الماضى هو المنطلق لفهم أشياء كثيرة يعزب عن الإنسان فهمها دون سابق خبرة ، وهو أمر ظاهر ، وبما أن صفة النسيان من الصفات الملازمة للإنسان ؛ لذلك كان عليه تدوين -والتدوين هنا بالمعنى الأوسع الذى يشمل الكتابة ، والحفظ فى الصدر ، كالحكايات والشعر- خبراته، وخبرات غيره فى مجال الزراعة ، والصناعة ، والحرب ، والحكم .

وهذا ما يمكن أن ندركه من خلال النظر إلى الكتابات الموجودة على جدران المعابد القديمة ، والنقوش المحفورة فى المسلات ، وأوراق البردى عند الفراعنة، والكتابات التى كتبت على الرقاع والأكتاف ، وعسف النخيل .

فبتطور الحال ، وسعى الإنسان دائما إلى التحضر ، والانتقال من الحياة الفردية إلى الحياة القبلية ظهرت صور أخرى للتدوين ، فكانت كل قبيلة تحفظ نسبها ، وتُحَفِّظُهُ أبناءها ؛ لتظل محافظة على عراقة نسبها ، ولكى تفتخر به على القبائل الأخرى ، وهو من قبيل التاريخ الشفهى . ومثله أيضا الأيام؛ فكانت القبائل تروى أيامها، وحروبها ، وانتصاراتها ؛ لتفخر به وتجعله حافزاً لأبنائها، سواء كان ذلك شعراً أو نثرا .

وبظهور الإسلام وانتشاره حدثت حركة علمية أخذت تتسع وتنتظم شيئاً فشيئا حتى خلفت لنا ثروة علمية ، وبظهور عصر التدوين الحقيقى المتخصص عند المسلمين الأوائل فى أواخر القرن الثانى الهجرى .

والتاريخ أحد العلوم التى اهتم المسلمون بتدوينها ، وخُص بجانب كبير من الرعاية والاهتمام ، وهو علم ضمن منظومة متناسقة من العلوم التى شكلت النتاج الفكرى الذى جعل لنفسه محوراً ، وهو النص – الكتاب والسنة– بما اشتمل عليه من أحكام من مقاصد شرعية تشتمل على قيم ، وهذه المقاصد والقيم تعمل فى وسط قواعد ، وتعمل كل هذه المنظومة فى مجال السنن الإلهية التى خلقها الله تعالى فى الكون والنفس والمجتمع ، وجعل المسلمون النص محوراً لحضارتهم ، ومعنى ذلك : أنهم جعلوه معياراً للتقويم وجعلوه منطلقاً للخدمة ، ومرجعاً يرجعون إليه[1] ، واقتضى وجود النص مسألة التوثيق والتدوين ، وبدا فى صورته الأولى جمعاً لسيرة الرسول ﷺ وغزواته .

فقد دفع حرص المسلمين على معرفة أخبار الرسول ﷺ طائفة من الرواة لحفظ هذه الأخبار ونشرها[2] . ولا يدخل عنصر المحبة والتنظيم وحده لهذا الاهتمام بسيرة الرسول ﷺ ، بل انبهار العرب والمسلمين بما أحدثه النبى ﷺ من انقلاب شامل فى الجزيرة ، قد دعاهم إلى التعرف على سيرته وخطوات جهاده ، فمن باب المصلحة العامة كان الوقوف على أقوال الرسول ﷺ وأفعاله للاهتداء بهديه والاستناد إليها فى التشريع ، وفى السلوك السوى فى الحياة كما أن غزواته صلى الله عليه وسلم وغزوات أصحابه كانت لونا من المعرفة يُبَصِّرُ الناسَ بحياة نبيهم ؛ لما يترتب عليها من أحكام يحتاج إليها المسلمون فى وضعهم الجديد ، كالذى ترتب على المغازى من فتح ديوان العطاء ، ومعرفة أدوار الرجال فى حركة الغزوات[3] ، ثم التقاط الحوادث من القرآن بوصفها عبراً وتوجيهاً للفكر البشرى إلى ما يدور فى الزمن ، وهو أعظم تجديد فكرى من ناحية النظر إلى التاريخ[4] قال تعالى ﴿ **يُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِى الأَبْصَارِ**﴾[النور : ٤٤] . وذلك أن القرآن الكريم الذى جاء رحمة للناس قد حفظ لنا بالخبر الصادق –عن خالق الكون والإنسان– الحقائق الأساسية التى تتعلق بخلق هذا الكون والإنسان ، وسيرة الأنبياء والرسل والأمم الغابرة .

---

(١) انظر : المدخل . الدكتور على جمعة ص١٠ .

(٢) انظر : المسلمون وكتابة التاريخ د. عبد العليم خضر ص٧٩ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) انظر : التفسير الإسلامى للتاريخ . د. عماد الدين خليل ص٥ .

فكانت غزوات الرسول ﷺ وسيرته ، وقصص الأنبياء والأمم الغابرة التى جاءت فى القرآن هى النواة الأولى لكتابة التاريخ عند المسلمين ، ثم ارتبط التاريخ بعد ذلك بتراجم الصفوة المؤثرة من الخلفاء الراشدين والصحابة وانطلق علم التاريخ فى طور نموه وأخذت الكتابة التاريخية مناحى شتى[1] ، فلقد وزع المؤرخون المسلمون والعرب مناهجهم فى كتابة التاريخ على اتجاهات شتى، فمنهم من كتب فى السيرة ، كما فعل ابن هشام عندما اختصر تاريخ محمد بن إسحاق ، وأضاف إليه ، وصاحب الروض الأنف ، ومنهم : من كتب فى الطبقات والرجال والتراجم والمآثر ، مثل : التاريخ الكبير للبخارى ، وكتاب تاريخ بغداد للبغدادى ، وغيرها من الكتب ومنهم من كتب فى أخبار النساء والجوارى كأخبار النساء لطيفور ، ومعجم النسوان لابن عساكر ، وكتب بعضهم عن البلدان وفتوحها ، والخطط كما فعل ياقوت الحموى فى معجمه (معجم البلدان) والمقريزى فى كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، ومنهم من كتب فى التاريخ العام ككتاب (تاريخ الطبرى) ، و(الكامل) لابن الأثير الذى خصص حياته لهذا المؤلف .

ولم يكن للمسلمين نظير حين أفاضوا فى تاريخ الخلق والخليقة ، يقول الدكتور عبد العليم خضر : إن المسلمين ظلوا سدنة التاريخ وحفاظه طوال العصور الوسطى ، حيث انفردت الحضارة الإسلامية وحدها بالتألق والبزوغ ، وعندما أخذت أوروبا تنفض عن نفسها غبار العصور الوسطى بقى المسلمون سادة الميدان وفرسانه ، فلم يبدأ المؤرخون الأوروبيون تفردهم فى الميدان إلا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ، اللذين يوافقان القرنين الحادى عشر والثانى عشر الهجريين[2] .

وظلت الكتابة التاريخية الإسلامية فى ثوبها القشيب كتابة إسلامية وضعت على أساس إسلامى بحت ، كما نظمت على أساس التقويم الإسلامى الهجرى، ومن ثم لم يكن التاريخ الإسلامى استمرارا أو صلة للتواريخ القديمة ، وإنما هر

---

(١) انظر : د. عبد العليم خضر ، المسلمون وكتابة التاريخ ص ١٧٣ .

(٢) انظر : المسلمون وكتابة التاريخ ص ١٧٧ .

تأريخ إسلامى خالص ، وقد نما النمو المستقل الطبيعى ضمن حدود التطور الثقافى الإسلامى ، وأبعاده ، وفى إطار حاجات المجتمع الإسلامى وخصائصه[1] .

وهذا الكتاب الذى نقدمه للقارئ العربى اليوم [**المواكب الإسلامية فى الممالك والمحاسن الشامية**] للعالم المؤرخ: محمد بن عيسى بن كنان الدمشقى؛ أحد ذخائر التراث والحضارة الإسلامية، يبرز جانبًا من الأهمية العلمية للبحث التاريخى، تتمثل فى :

– الموسوعية: حيث اعتمد مؤلف الكتاب على عدد كبير من الكتب التى تناولت الشام؛ تاريخيًا، وجغرافيًا، وسياسيًا، معماريًا، وأدبيًا. وقد ساعده على ذلك : الاستفادة من المصادر السابقة عنه، وثقافته الواسعة، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة حافظة لكثير من المصادر المفقودة.

– دقة الرصد: رصد صاحبنا فى كتابه أدق التفاصيل عن الشام، فتكلم عن حدود الممالك، والخانقاة، والديار المشهورة، أو الحمامات، والمدارس، والجوامع، وغير ذلك . ثم تكلم عن النيابات وترتيبها، فهو لم يتكلم عن التفاصيل فقط؛ بل خاض فيها وفتش بنفسه، وصور لنا بعينى رأسه.

– يعتبر هذا الكتاب أرض خصبة لدراسة المجتمع الشامى وكيف كان الناس هناك يحيون حياتهم اليومية، وعلاقتهم بالملوك والأمراء، وأصحاب الرياسات والإدارات.

تحقيق الكتاب:

عندما عزمت القصد على تحقيق كتاب [**المواكب الإسلامية فى الممالك والمحاسن الشامية**] للعالم المؤرخ : محمد بن عيسى بن محمود بن كنان الدمشقى – رحمه الله– شرعت فى البحث عن مخطوط لهذا الكتاب ، وكان مقصدى دار الكتب المصرية ، وهناك عثرت على مخطوط وحيد ، لهذا الكتاب، وللأسف بذلت الجهد للحصول مخطوط آخر ، فلم أجد ، حتى خارج دار الكتب المصرية .

---

(١) انظر : التاريخ العربى والمؤرخون ، شاكر مصطفى (٧٩/١) .

وبالفعل قمت بتصوير هذا المخطوط ، ثم عكفت أنظر ، وأقلب الصفحات وقمت بنسخها ، وفى حالة تعثرى فى قراءة لفظة ، أو إشكال فى فهم عبارة ، أرجع إلى مصادر المؤلف نفسها (إن وجدت) ، وكم عانيت فى مهمة إخراج هذا الكتاب بصورة نحسبها -إن شاء الله- طيبة مرضية ، بذلت فيها جهداً كبيراً ، ولم أبخل بالوقت ، حتى كانت الصورة الماثلة أمامكم ، والله الموفق .

وقد ساعد فى هذا الكتاب بهذه الصورة الماثلة أمامكم نفر من الباحثين الذين لا نزكيهم على الله، ولا يسعنى إلا أن أشكرهم وعلى وجه الخصوص ابنتنا الفاضلة الأستاذة: **هيام محمد داود**. وابنتنا الفاضلة الأستاذة: **منى حسن محمود**، فكم عانتا معى مشقة تحقيق هذا الكتاب، وأسأل الله تعالى لهما التوفيق وأن يحسن لهما المثوبة.

وصف المخطوط :

مصدره : دار الكتب المصرية . تصنيف [تاريخ رقم (٣٥٠١)] عدد اللوحات : (١٨٢) لوحة من القطع الكبير ، عدد الأسطر : (٢٣) سطراً ، نوع الخط نسخ عادى ، بخط الناسخ : محمد بن إبراهيم بن السيد حمد العجلونى ، وكان الفراغ من نسخه سنة (١٢٠٤هـ) .

عملنا فى هذا الكتاب :

١- ضبط النص ، وتقويم العبارة ، وتصحيح التحريف والتصحيف ، وملاحظة السقط من الكلمات .

٢- عزو الآيات .

٣- تراجم الأعلام ، بما يقتضيه الحال .

٤- شرح الغريب .

٥- تراجم بعض الأماكن .

٦- الملاحق، وتحتوى على بعض الخرائط التفصيلية للشام والممالك التى بها .

٧- الفهارس اللازمة. .

وختاماً ، نسأل الله أن نكون قد وفقنا فى هذا العمل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ترجمة المؤلف

اسمه : محمد بن عيسى بن محمود بن كنان ، الحنبلى ، الصالحى الدمشقى، الخلوتى ، يقال له : ابن زين التقاة .

مولده : ولد فى سنة أربع وسبعين وألف فى الصالحية .

نشأته وطلبه للعلم : نشأ فى كنف والده وأخذ عنه الطريق وأخذ على جماعة ، كالشيخ خليل الموصلى ، قرأ عليه حصة من جمع الجوامع فى الأصول . والرسالة الأندلسية فى العروض ، وغيره من الأجلاء .

وحج البيت الحرام واجتمع فى المدينة المنورة بالأستاذ الشيخ إبراهيم بن حسن الكورانى ، وأخذ عنه الحديث .

قال المرادى : وهو (ابن كنان) أحد العلماء الأتقياء والصلحاء العاملين ، لما توفى والده صار مكانه شيخاً واستقام إلى أن مات ، ولازم الأذكار وألف التاريخ الذى جمعه بالحوادث اليومية ، وقد طالعته واستفدت منه .

من مصنفاته :

الحوادث اليومية . المروج السندسية . تاريخ الصالحية . حدائق الياسمين . تاريخ معاهد العلم فى دمشق . مختصر حياة الحيوان . تلخيص كتاب الملاحة . الدر المنضد فى أصحاب الإمام أحمد .

وفاته : وكانت وفاته فى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف ، ودفن بسفح قاسيون بالصالحية .

مراجع الترجمة : سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ، لأبى الفضل المرادى (٨٥/٤) .الأعلام ، للزركلى (٣٢٣/٦) . معجم المؤلفين الكحالة (٥٧٧/٣). هدية العارفين ، للبغدادى (٣٢٥/٢) . ايضاح المكنون للبغدادى (٢١٧/١) . تاريخ آداب اللغة العربية الزيدان (٣٠٣/٣) .

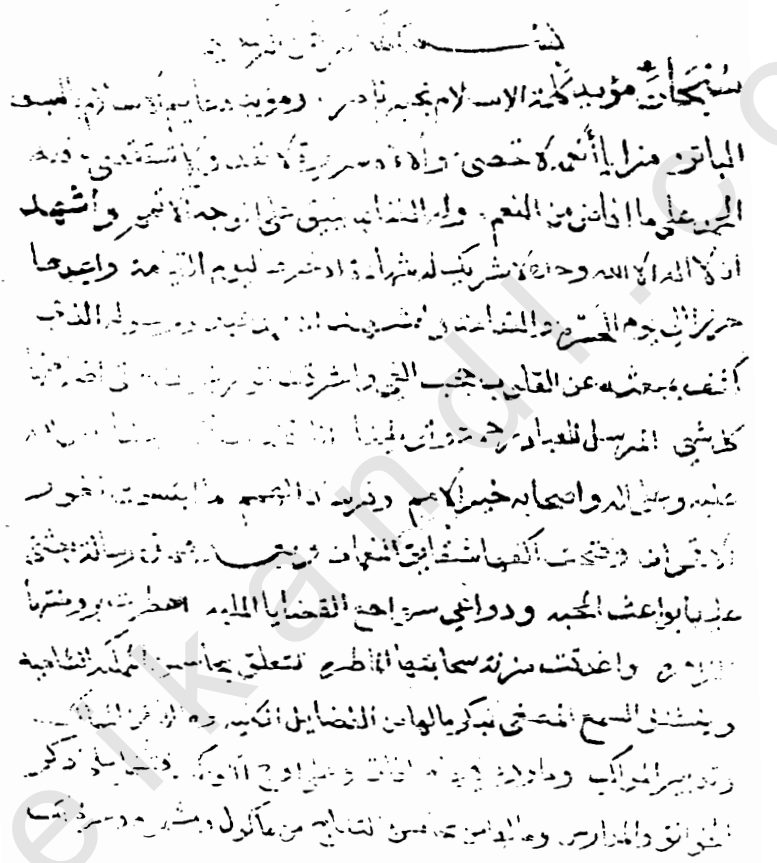

الصفحة الأولى من المخطوط

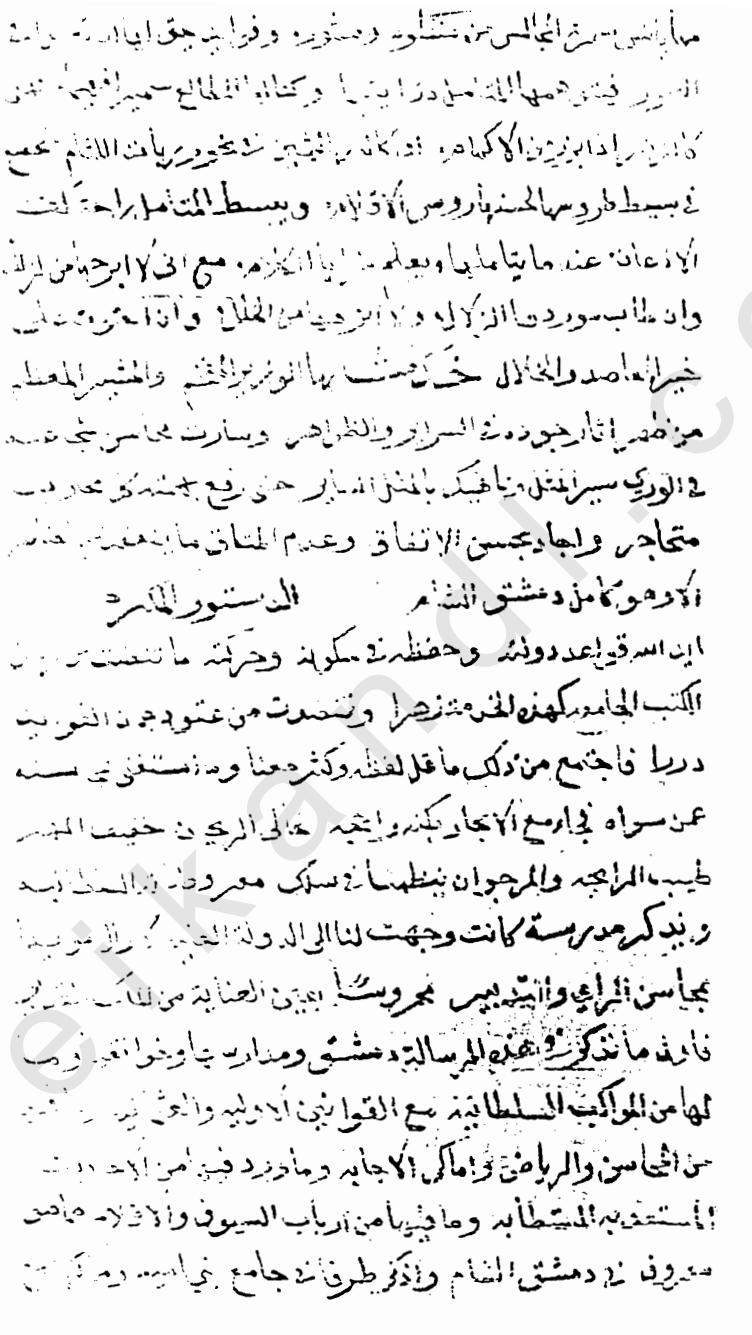

الصفحة الثانية من المخطوط

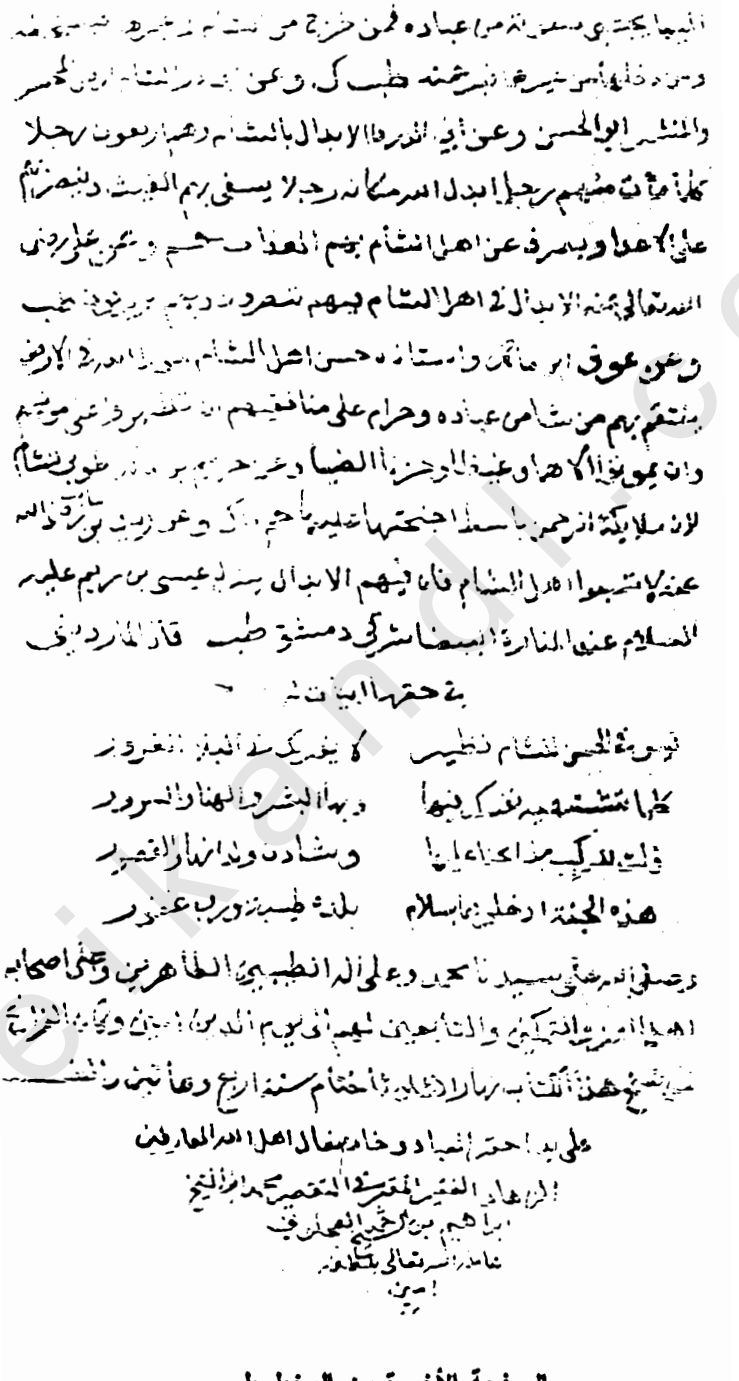

الصفحة الأخيرة من المخطوط

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدمة

سبحان مؤيد كلمة الإسلام بخير ناصر، ومؤيد دعائم الإسلام بالسيف الباتر.

مزايا أنعمه لا تُحصى، وآلاؤه غزيرة لا تُعد ولا تستقصى، فله الحمد على ما أفاض من النعم، وله الثناء بما يليق على الوجه الأتم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدَّخرها ليوم القيامة، وأعدها حرزًا إلى يوم الحسرة والندامة.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الذى كشف بمبعثه عن القلوب حُجب الغىِّ، وأشرقت أنوار نبوته حتى أضاء منها كل شيء؛ المرسل للعباد رحمةً وتوطينًا ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾[الفتح : ١] صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه خير الأمم، وفرسان الهمم، ما ابتسمت ثغور الأقحوان، وفتحت أكفها شقائق النعمان.

وبعد، فهذه رسالة بعثنى عليها بواعث المحبة، ودواعى سواجع القضايا الملبة[١]، أعطرت بروضتها الزاهرة ،وأغدقت مزنة[٢] سحابتها الماطرة؛ تتعلق بمحاسن المملكة الشامية، يتشنف السمع المصغى بذكر مالها من الفضائل الكلية، وما لها من الممالك، وتدبير المواكب، وماورد فيها مما فاق وعلا أوج الكواكب.

فتشتمل على ذكر : الخوانق والمدارس، ومالها من محاسن النتاج؛ من مأكول ومشموم وغير ذلك، مما يُؤنس سمرة المجالس، من منظوم ومنثور، وفوائد يحق لها أن تعلو فى النحور، فيتوهمها المتأمل درًّا يتيمًا، وكنًا لها المُطالع سميرًا فهيمًا.

فهى كالزهر إذا برز من الأكمام، أو كالدر الثمين فى نحور ربات اللثام، تخضع فى بسيط طروسها لحسنها رؤوس الأقلام، ويبسط المتأمل راحة كف الإذعان؛ عندما يتأملها، ويعلم مزايا الكلام، مع أنى لا أبرحها من الزلل، وإن طاب موردها الزلال، ولا أنزهها من الخلل، وإن احتوت على خير المقاصد والخلال.

---

(١) الملبة : المحببة، المقربة. انظر : لسان العرب، مادة [لب] .

(٢) المُزْنة : القطعة من السحاب. انظر : لسان العرب، مادة [مزن] .

خدمت بها الوزير المفخم والمشير المعظم؛ من ظهر أثار جوده فى السرائر والظواهر، وسارت محاسن شجاعته فى الورى سير المثل، وناهيك بالمثل السائر؛ حتى رفع بهمته كل محارب متحاجر، وأجاد بحسن الاتفاق وعدم المطاق ما ينعقد عليه الخناصر، ألا وهو كامل دمشق الشام، الدستور المكرم، أيدّ الله قواعد دولته، وحفظه فى سكونه وحركته ما تنضت من رياض الكتب الجامعة كهذه الخدمة زهرًا، وتنضدت[1] من عقود جمان الفوائد دررًا.

فاجتمع من ذلك ما قلّ لفظه وكثر معناه، وما استغنى بمحاسنه عمن سواه.

فجاء مع الإبحار بكنه راجحة تحاكى الريحان، خفيف المهر، طيب الرائحة.

والمرجو أن ينظمنا فى سلك معروضاته السلطانية، ويذكر مدرسة كانت وجهت لنا إلى الدولة العليا، لا يزال مؤيدًا بمحاسن الرأى والتدبير، محروسًا بعين العناية من الملك القدير.

فأول ما نذكر فى هذه الرسالة : دمشق، ومدارسها، وخوانقها[2]، ومالها من المواكب السلطانية مع القوانين الأولية والعثمانية[3]، وما فيها من المحاسن، والرياض، وأماكن الإجابة، وما ورد فيها من الأحاديث المستعذبة المستطابة، وما فيها من أرباب السيوف والأقلام مما هو معروف فى دمشق الشام.

وأذكر طرفًا فى جامع بنى أمية، وممالكها مع ذكر مواكبها، وأرباب المناصب الدينية والدنيوية، وما فى دمشق مما اشتمل من الأشجار والأزهار، وما يناسب ذلك من شعر تغزلت فيه الشعراء، أو تكلمت فى الزروع عليه اليونانيون أو خاصة تكلمت عليه الأطباء.

---

(١) تنضدت المعنى : أى ما ظهر. انظر : لسان العرب، مادة [نض].

(٢) الخوانق : الشعاب الضيقة فى الجبل، ومفردها، الخانق، وهنا بمعنى : الزقاق. انظر: القاموس المحيط، مادة [خنق].

(٣) نسبة إلى الدولة العثمانية، سلالة من السلاطين الأتراك المسلمين، أسسها عثمان الأول، ونشأت فى الأناضول على أنقاض الدولة السلجوقية، ومدت سلطتها إلى البلقان والدول العربية، وفتح محمد الفاتح أحد سلاطين الدولة العثمانية القسطنطينية، وجعلها عاصمته، وقضى على البيزنطيين، وانتقلت الخلافة إلى سليم الأول، الذى أنهى حكم المماليك. انظر: العثمانيون فى التاريخ والحضارة، د. محمد حرب.

ذكر الكتب التى اقتضبت منها هذه الرسالة :

كواكب الملك ودولة الترك .المحاسن الشامية، المسمى نزهة الأنام فى محاسن الشام، للشمس ابن المزلق. الملاحة فى صناعة الفلاحة، للرضى الغزى العامرى الدمشقى. المدارس، للشيخ عبد القادر النعيمى. المسالك للحافظ الذهبى. تاريخ البكرى .وتقويم البلدان، لياقوت. والروض المعطار. مطالع البدور فى منازل السرور، للبهائى. زهر البساتين. المناهج. تاريخ نوازل الزمان، للمحدث ابن طولون الحنفى الصالحى. الطب النبوى، للدمشقى. الغرث المحلى، للشيخ يحيى بن يونس الدحلاشى. كتاب التثقيف والأرصاد، لابن دريد. وتأهيل الغريب، للنواجى. والفلاحة الرومية. تشنيف المسامع، لابن حبيب الحلبى. تاريخ الصالحية، للحافظ جمال الدين بن عبد الهادى الصالحى، ومن مسودته وخطه نقلتُ. والذيل، للحافظ الذهبى .والتوضيح لابن ناصر الدين فى تاريخ الصالحية. وتاريخ الأم، لابن عساكر؛ المسمى ديوان الإسلام. وتاريخ ابن شداد. ولطائف الأعاجيب، للحافظ الدومر الصالحى. وتاريخ آثار العباد والبلاد، للقزوينى. وكتاب أخبار البلدان، للنيسابورى. شرح الأنموذج فى الطب لابن النفيس الرئيس بدمشق. ومفردات الشريف الصقلى. تذكرة الإمام السويدى أيضًا فى الطب. كتاب الزهور، للإمام المحدث عمر المراغى تلميذ البيضاوى المشهور بابن إياس. وتاريخ الجنانى .وكتاب الوسى المرقوم فى المنظوم، للشيخ حيا الموصلى الكاتب. والجامع الصغير، للسيوطى، وغيره فى التواريخ. وكتاب التعريف. وكتاب الطلاسم، والأرصاد والنعاقين تاريخ الجناى.وكتاب أخبار بلدان الإسلام، للإمام محمد بن أحمد البشارى المقدسى.وكتاب المرقص والمطرب، لابن سعيد الغرناطى. والتفسير للقاضى البيضاوى، والواحدى، والمهدوى، والبغوى، والجلالين. والأرصاد .وكتاب كف المكمل، للحافظ ابن الجوزى. ورحلة أبى حامد الأندلسى. وكتاب لواقح الأفكار للصنهاجى. والطب النبوى، لابن الجوزى. وكتاب تشنيف المسامع فى وصف الجامع، لابن حبيب. وكنز الأسرار، للإمام الصنهاجى .وحاشية الخفاجى وغير ذلك.

وسميته : [**المواكب الإسلامية فى الممالك الشامية**] .